الرواق العباسي بالجامع الأزهر الشريف

(1310 – 1321 هـ / 1892 – 1903م)

إعداد

أ.د/ مجدى عبد الجواد علوان عثمان

أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية
وكيل كلية الآداب – جامعة أسيوط

يعد الجامع الأزهر من أكثر المنشآت الدينية تعرضًا لأعمال الإضافات والتجديدات المعمارية وذلك منذ إنشائه إبان العصر الفاطمى وحتى العصر الحديث ويعزى ذلك لمكانته الدينية ولأهميته العلمية إذ إنه يعتبر أقدم الجامعات الإسلامية والعالمية .

ومن بين الإضافات المعمارية التي أجريت بالجامع الأزهر تلك العمارة التي قام بها خديوي مصر عباس حلمي الثاني عام (1314هـ / 1896م) ومن بينها عمارته لرواق جديد يضاف لأروقة الأزخهر عرف باسم الرواق العباسي .

قبل الشروع فى وصف ودراسة الرواق العباسى الملحق بالجامع الأزهر يجب أن نذكر أن هناك فرقًا بين تعريف مصطلح الأروقة كنظام هندسى معمارى أثرى فى مبنى الجامع الأزهر ، وبين مصطلح الأروقة كمساكن يقيم فيها الطلبة أو المحاورون ، فالرواق بمعناه الهندسى المعمارى كما هو معروف فى المصطلحات الفنية الأثرية الخاصة بالعمائر الدينية هو تلك المساحة المستطيلة المحصورة بين صفين من البوائك (أو بائكة وجدار) والبائكة هى صف من الأعمدة أو الدعامات الحاملة للعقود الموازية أو العمودية على جدار القبلة ، ويمثل الرواق وحدة التقسيم الهندسى الرئيسية بالنسبة لتخطيط الجامعة وهو المعروف بنظام الأروقة والتى تتكون منه ظلة القبلة أو الظلة البحرية أو المجنبتان أو المقدم والمؤخر على حسب التسمية حول صحن أو دورقاعة وسطى مغطاة أو مكشوفة أو بدونهما .

وقد وجدت الأروقة كجزء من عمارة الجامع الأزهر منذ إنشائه إبان العصر الفاطمى سنة (359 – 361هـ / 970 – 972م) وكان عددها آنذاك 11 رواق حول صحن مكشوف منها خمسة أروقة فى ظلة القبلة أو المقدم ، وثلاثة فى كل من المجنبتين الشرقية والغربية ، ثم زيدت بعد ذلك خلال العصور الإسلامية المتعاقبة حتى أصبح تخطيط الجامع بالصورة الحالية

أما التعريف الثانى لأروقة الأزهر الشريف فهو تلك المساكن أو الحجرات التى يقيم فيها الطلبة إقامة دائمة بالمجان طوال السنوات التى يقضيها كل منهم فى تحصيل العلم ، وهى إقامة خاضعة لنظام وإشراف دقيق من كافة النواحى المادية والعلمية والدينية والاجتماعية والإدارية، ولم يعمل بهذا النظام إبان العصر الفاطمى منذ إنشاء الجامع ولكن استغلت هذه الأروقة كمساكن للمجاورين على وجه التحديد منذ بداية عصر دولة المماليك البحرية سنة 648هـ / 1250م وإبان العصور التالية .

الرواق العباسى :

الرواق العباسي بالجامع الأزهر الشريف

الموقع: أقيم الرواق العباسى فى الجهة الغربية من الجامع الأزهر ، وهو أكبر الأروقة وأحدثها ، كان موضعه جزء من الواجهة البحرية للجامع ومنارة عثمانية الطراز ترجع لعمارة عبد الرحمن كتمن أما الجامع على يمين الداخل من باب المزينين والتى أزيلت عند بناء الرواق ، ويتكون الرواق العباسى من ثلاثة طوابق ، الأول مخصص للمحاضرات والامتحانات وهو الأرضى ، والطابق الثانى به أروقة مخصصة لسكن الطلاب من اليمن والفيوم والإسكندرية وطلبة المدرسة الطيبرسية الذين نقلوا إليه بعد استعمال المدرسة لمكتبة الأزهر سنة (1314 هـ / 1896م) ويحتوى أيضًا على حجرة خاصة بطبيب وصيدلى الأزهر وحجرة للميقاتية بجوار السلم ، وحجرة للجندى المكلف بحراسة الرواق وحجرة لدفترخانة الأزهر ، أما الطابق الثالث فيشتمل على أروقة لطلبة الأكراد وللدكارنة والهنود والبغداديين ، وخصصت به حجرات لمفتى الديار المصرية ، وأمنة الإفتاء ، وكتبة الفتاوى ، وقد روعيت النواحى الصحية فى هذا الرواق مراعاة تامة ، وبلغت تكاليف إنشاؤه 6080 جنية مصرى وهو مبلغ كبير بالنسبة لقيمة النقد آنذاك ، واحتفل بافتتاحه رسميًا فى 24 شوال سنة 1315هـ الموافق 18 مارس سنة 1898م فى مشيخة الشيخ حسونة النواوى (1313– 1317هـ / 1896– 1900م).

ويتم الوصول إليه من داخل الجامع من خلال مدخل معقود بعقد مدبب سميك اتساعه 2.55م تجاوره إلى اليمين قاعدة منارة الغورى 915هـ / 1509م ، ويجاوره إلى يسار الداخل رواق الجبرت ، يكتنف هذا المدخل طرازان كتابيان فى بحرين مستطيلين يشتملان على نص كتابى بخط الثلث ذى حروف مذهبة على أرضية سوداء نص الطراز الأيمن : {وَسِيقَ الَّذِينَ / اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا / وَقَالَ لَهُمْ }

الطراز الأيسر : { خَزَنَتُهَا / سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ / صَدَقَ اللَّه العَظيم } .

يكتنف عقد المدخل من الداخل رنكان كتابيان يتضمن كل منهما نصًا دعائيًا من ثلاث شطبات تقرأ من أعلى لأسفل 1– عز لمولانا الخديوى

2– عباس حلمى الثانى

3– أدام الله أيامه

يعلوها إطار مستطيل من جفت ذى ميمات يتوسطه بحر زخرفى كتابى كتب فيه مقطع من الحديث الشريف نصه : " **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** "، .

ويتوج المدخل صف من الشرافات الحجرية النباتية المورقة سباعية الفصوص .

ويفضى هذا المدخل إلى ممر أو استطراق مستطيل عميق اتساعه 3.65م وعمقه 18.5م ، يتصدره المدخل العمودى للرواق العباسى من الواجهة الشمالية الغربية ، إلى اليمين يقع الجدار الجنوبى الغربى والمدخل الرئيسى لحجرة مجلس إدارة الأزهر (1314هـ / 1896م) (قاعة الإفتاء حاليًا) وإلى اليسار يقع الجدار الشمالى الشرقى والمدخل للرواق العباسى

المدخل العمومى من الداخل : عبارة عن تجويف رأسى معقود بعقد نصف دائرى تتخلله فتحة باب مربع اتساعها 20سم يعلوها عتب مربع يعلوه عقد موتور أصم تزينه تلبيسات خزفية زرقاء ، تعلوه نافذة مستطيلة ، يغلق على الباب مصراعان خشبيان قسم كل مصراع إلى حشوتين بقجتين عليا وسفلى بهما مفاريك تحصران بينهما حشوات تواريخ وتماسيح ملساء ، يتقدم المدخل دركاة مستطيلة يسقفها سقف خشبى من براطيم مجلدة بالتذهيب والألوان مماثل للسقف الداخلى للرواق ، يحمل السقف الطابق الثانى من الرواق والذى يعلوه أيضًا الطابق الثالث ويشفان على الممر السفلى بدرابزين خشبى صدره من خرط برامق طولية وحشوات خرط دقيق ميمونى مربع مائل يعلوه إفريز لخورنقات ، ويسقف كل طابق سقف بسيط من عروق مستعرضة تحصر بينها ألواح مستطيلة ملساء .

ويتوج الطابق الثالث إفريز حجرى من جفت مجدول ولا توجد شرافات .

وسجل على عتب باب الرواق كتابة تأسيسيةٍ لنص كتابى مؤرخ بحساب الجمل بخط الثلث نصه : ((**مآثر مولانا الخديوى قد ازدهرت / بأزهرنا المعمور من حسن واتقان / فقال لسان العالمين مؤرخًا / رواق بنى فى عهد عباس الثانى سنة 1314**)) .

ويتم الدخول من الداخل إلى الرواق من خلال مدخل فى الضلع الشمالى الشرقى والمدخل من الداخل عبارة عن تجويف رأسى معقود بعقد مدبب مخموس تتوسطه فتحة باب مربع اتساعها 2م يغلق عليها مصراعان خشبيان كل مصراع من حشوات العليا والسفلى بقجتان بهما مفاريك تحصران بينهما تواريخ وتماسيح ملساء .

ويتبع تخطيط الرواق العباسى تخطيط المدارس المملوكية ذات الأروقة حول صحن أو دورقاعة وسطى مغطاة ومن أمثلته الملحقة بالجامع الأزهر المدرسة الأقبعارية 740هـ / 1339م ، والتى تقع فى الجهة الشمالية وتتكون من دورقاعة وسطى مغطاة محاطة بأربعة أروقة ، رواق بكل جانب ، يتكون كل رواق من بائكة تشرف على الدورقاعة بثلاثة عقود مدببة أوسعهم أوسطهم.

المسقط الأفقى للرواق العباسى عبارة عن مربع تقريبًا أبعاده 16.60 × 16.85م ، مساحته الكلية 279.71م^2 ، مغطاة بسقف خشبى مسطح تتوسطه بلاطة مربعة مغطاة بقبة خشبية ، نظمت الأروقة حول الدورقاعة بواقع رواق فى كل جانب بواسطة أربع بائكات كل بائكة من أربعة أعمدة رخامية تحمل عقد مدبب أوسط يكتنفه كتفان حجريان وليس عقدان مدببان اتجاه أربعة منهما مواز لجدار القبلة والأربعة الأخرى عمودى عليها ، تكون هذه العقود الركنية بلاطات مربعة يسقفها سقف خشبى من براطيم.

تنبعث من منبت عقد منكسر صغير ، ويكتنف كوشتى العقد زاويتان ملئتا بزخارف نباتية مورقة مماثلة لزخارف زوايا العقود المحورية (لوحة 4) ، ويكتنف كل نافذة عمودان حجريان بقواعد وتيجان ناقوسية ويحدد كل نافذة تربيعة من إزار حجرى أملس .

ويربط بين أرجل العقود أوتارًا حديدية للتدعيم والتقوية تتصل بالجدران .

فتح فى كل جدار ضلع من أضلاع جدران الرواق باستثناء جدار القبلة نوافذ مستطيلة نظمن داخل تجاويف طولية معقودة بعقد مدبب مخموس عمقه 1م ، اتساعها من الداخل 160سم ومن الخارج 138سم ، يعلو كل نافذة عتب مربع يعلوه عقد موتور أصم تزينه تلبيسات خزفية ،يغلق على كل نافذة ضلفتان خشبيتان قسمت كل ضلفة إلى سبع حشوات العليا والسفلى بقجتان بهما مفاريك تحصران بينهما حشوات تواريخ وتماسيح ملساء .

يتوسط جدار القبلة محراب رخامى استخدمت فى زخرفته وتكسيته صدف ومربوعات ومراتب ومداور وفسيفساء رخامية دقيقة متعددة الألوان . وهو عبارة عن حنية معقودة بعقد مدبب اتساعها 1م وعمقها 60سم ، تتقدمها طارة أو طاقية معقودة بعقد مدبب محدد بجفت لاعب تزينه سنجات معشقة ملونة بطرازى الأبلق والمشهر حيث تتعاقب فيها رصات رخام أحمر

وأبيض وأسود ، يكتنف عقد الطاقية زاويتان يتوسط كل منهما شكل زخرفى قوامه دوائر مسننة (ترس) يتفرع منها فرعان نباتيان .

يكتنف المحراب عمودان رخاميان أبدانهما مثمنة وقواعدهما مربعة مشطوفة لأعلى ولكل منهما تاج مقرنص من حطتين بدوال ، يزين تجويف العقد المدبب المجوف والذى تزينه أشرطة لزخارف دالية مشهرة ، يليها إفريز من محاريب متجاورة على هيئة عقود نصف دائرية ملئت برخام خردة مكونة تقسيمات هندسية ، أسفله مستطيل آخر محدد بإطار هندسى يتوسطه مستطيل آخر ملئ بفسيفساء رخامية متعددة الألوان أسفله وزرة من أقطاب رخامية متعددة الألوان تتخذ شكل محاريب معقودة محددة بجفوت لاعبة ، يعلو تجويف المحراب إطار زخرفى مستطيل محدد بجفت رخامى مجدول كتب فيه بخط النسخ بحروف مذهبة نص قرآنى للآية : {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }

يتوج كتلة المحراب إفريز مقرنص يعلو إزار بارز يتوجه صف من شرافات ثلاثية مورقة مسننة ملونة بالتذهيب .

يعلو كتلة المحراب رنك كتابى حجرى ملون عبارة عن إطار مربع محدد بجفت لاعب تتوسطه دائرة ذات أربع ميمات محورية يكتنف كل ميمة منها زاويتان ملئتا بزخارف نباتية مذهبة مورقة محورة ، يتوسط الدائرة رنك كتابى من ثلاث شطبات تقرأ من أعلى لأسفل كما يلى :

1) عز لمولانا الخديو
2) عباس حلمى الثانى
3) أدام الله أيامه

الاستطراق أمام الرواق العباسي

الرواق العباسي من الداخل

الرواق العباسي بالجامع الأزهر الشريف

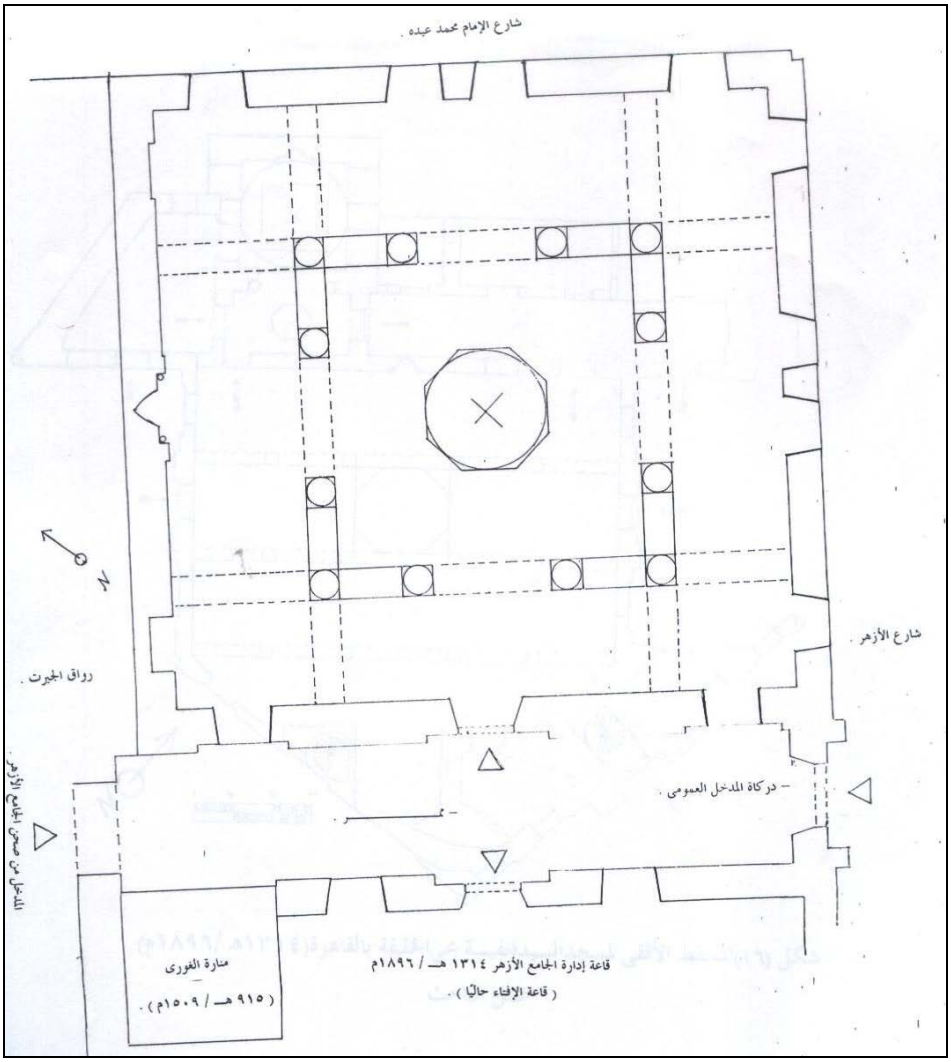

الرواق العباسي : المسقط الأفقي – عن : مجدي علوان